



الفتوحات الإسلامية

فتح الأندلس

رسوم
إبراهيم سمرة

بقلم
عبد الحميد عبد المقصود



المؤسسة العربية الحديثة

الطبعة الأولى: ١٩٨٥

توزيع: مؤسسة الرسالة - القاهرة - مصر

كَانَ الْفَتْحُ الْعَرَبِيُّ الْمُبَارَكُ لِبِلَادِ الْمَغْرِبِ فَاتِحَةً خَيْرَ لَأُورَثَا ؛ فَقَدْ
مَهَّدَ هَذَا الْفَتْحُ الطَّرِيقَ أَمَامَ الْجَيْشِ الْعَرَبِيِّ الرَّاحِضَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ
الْعَرَبِيِّ ، وَالْمُتَّجِهَةِ نَحْوَ غَرْبِ الْقَارَةِ الْأُورُثِيَّةِ ؛ فَشَهِدَتْ بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ
كَثِيرًا مِنَ الْمَعَارِكِ وَالْحَمَلَاتِ الَّتِي قَادَهَا نَفَرٌ مِنْ خَيْرَةِ قَادَةِ الْإِسْلَامِ
الْعَظَمَاءِ ..

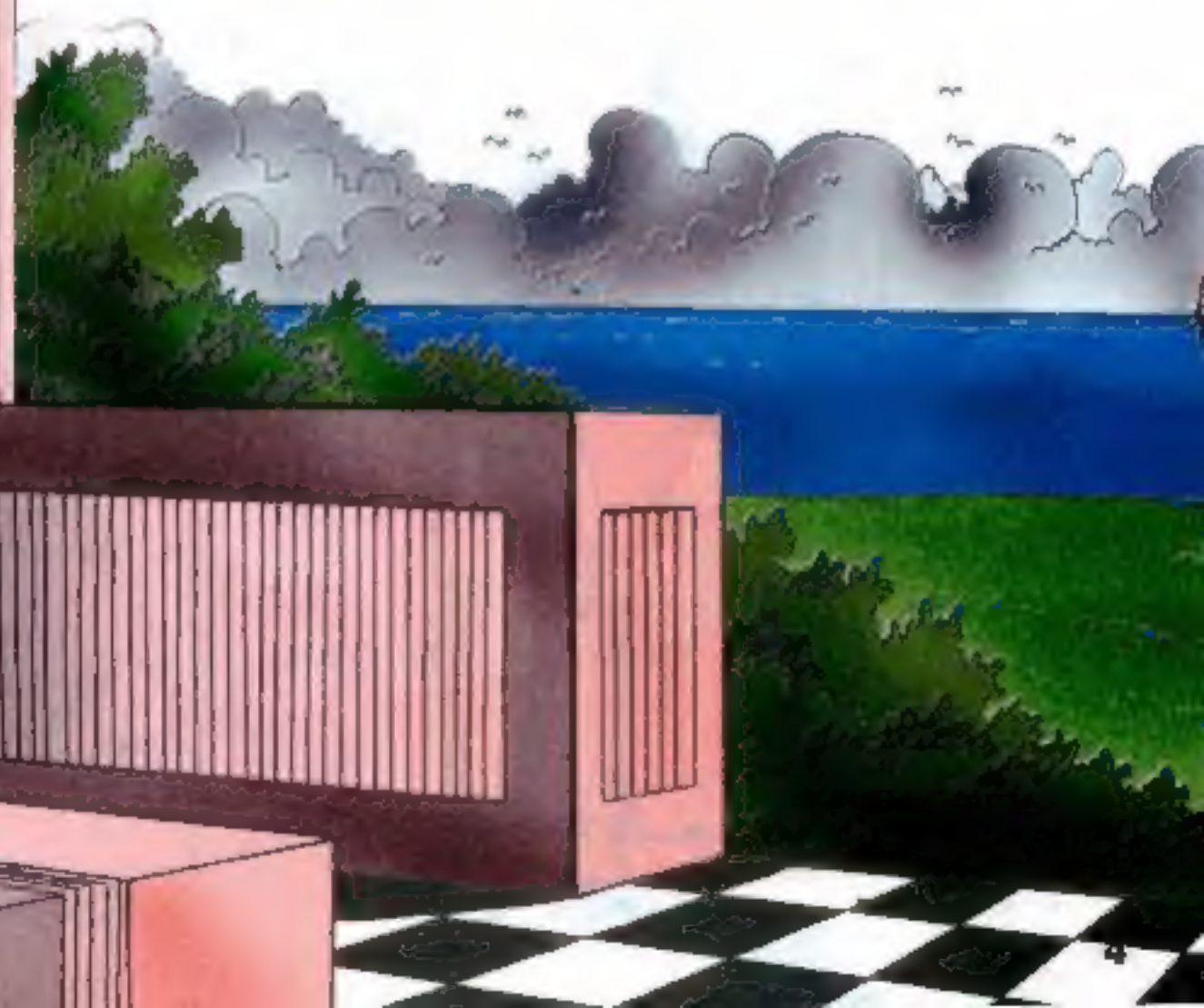
مِنْ هَؤُلَاءِ الْقَادَةِ الْقَائِدُ الْعَرَبِيُّ الْمُسْلِمُ (مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ) حَاكِمُ
مَدِينَةِ الْقَيْسَرِيَّانِ ، عَاصِمَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ .
وَالْفَارِسُ الْمُسْلِمُ الشُّجَاعُ (طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ) الَّذِي تَوَلَّى حُكْمَ مَدِينَةِ
(طَنْجَة) الْمَغْرِبِيَّةِ بَعْدَ فَتْحِهَا عَلَى يَدِ قَائِدِهِ (مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ) وَإِسْلَامِ
أَهْلِهَا مِنَ الْبَرْبَرِ ..

وَكَانَ (طَارِقُ) بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ قَائِدًا مِنْ أَتْرَعِ قَوَادِ (مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ) .





و كانت مدينة (سبته) التابعة لحكم إمبراطور القسطنطينية مجاورة
لمدينة (طنجة) المغربية .. وكانت مدينة (سبته) هي التي تفصل
بلاد المغرب عن بلاد الأندلس .. وكان يحكم (سبته) حاكم تابع
لإمبراطور القسطنطينية هو (بوليان) .. لكن (بوليان) كان يبدى
طاعته وولائه لـ (الذريق) حاكم بلاد الأندلس نظرا لقربه منه ، بدلا
من طاعته وولائه لإمبراطور القسطنطينية التابع له ..

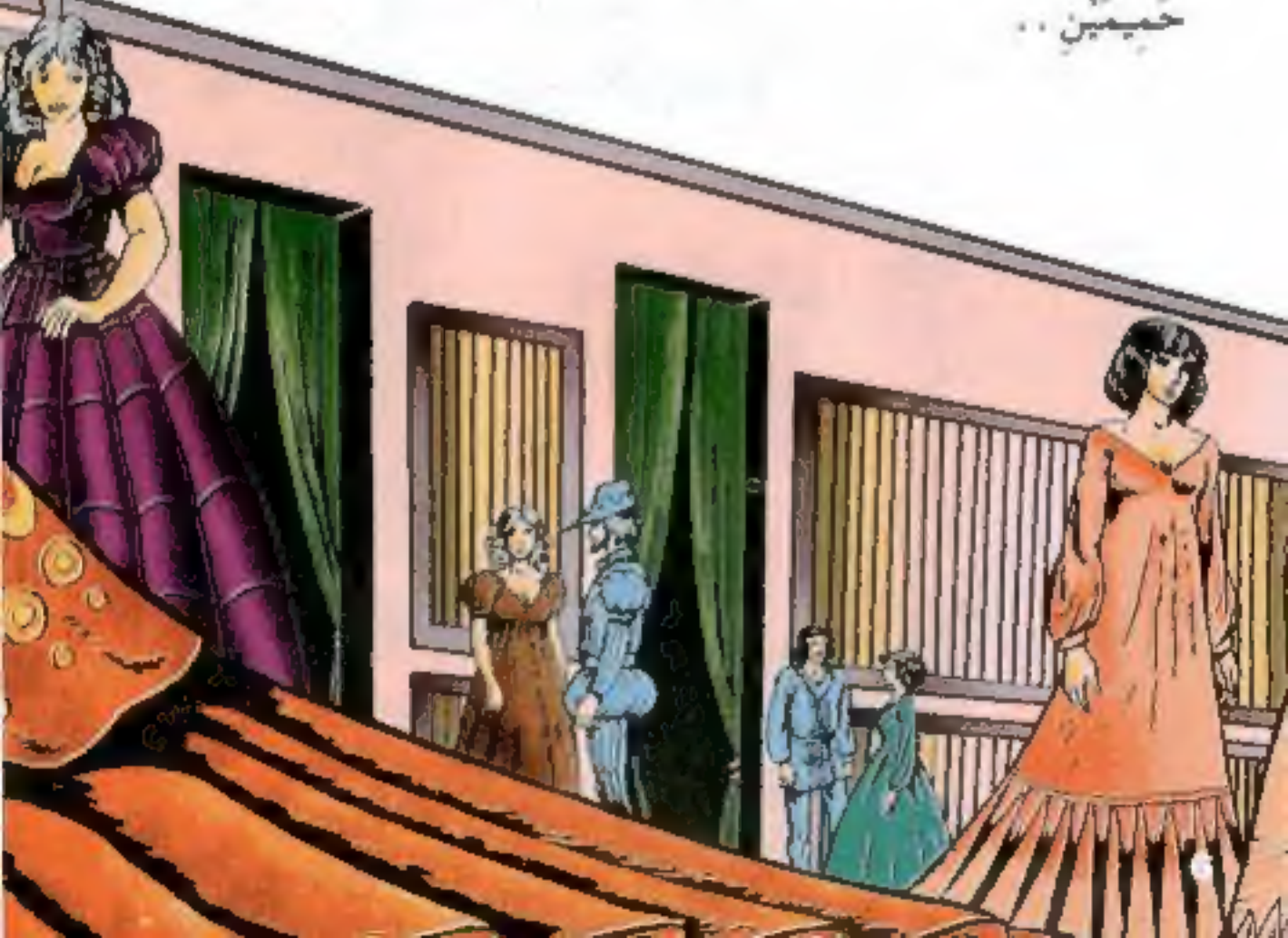




وَيَعْلَمُ الْقَائِدُ (طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ) بِقُطْنَتِهِ وَذَكَاتِهِ أَنَّ جَارَهُ (يُولْيَانَ) حَاكِمَ
مَدِينَةِ (سَبْتَةِ) بِرَغْمِ تَظَاهُرِهِ بِإِدَاءِ الطَّاعَةِ وَالْوَلَاءِ لِلْمَلِكِ (لَذَرِيقِ) فَإِنَّهُ
يَكُنُّ لَهُ حَقْدًا دَقِيئًا ، وَيَنْتَظِرُ بِقَارِغِ الصَّبْرِ قُدُومَ الْيَوْمِ الَّذِي سَيَثَارُ فِيهِ مِنَ
الْمَلِكِ (لَذَرِيقِ) حَاكِمِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ..

وَيَرْجِعُ سَبَبُ الْحَقْدِ الَّذِي يُكْتُهُ (يُولْيَانُ) لـ (لَذَرِيقِ) إِلَى أَنَّ (يُولْيَانَ) قَدْ
أَرْسَلَ ابْنَتَهُ الْجَمِيلَةَ (فَلُورَنْدَا) لِتَطْلُبَ الْعِلْمَ فِي بِلَاطِ (لَذَرِيقِ) فَأَعْجَبَ بِهَا
وَأَعْتَدَى عَلَيْهَا ..

وَيَنْتَهِزُ (طَارِقُ) فُرْصَةَ الْخِلَافِ بَيْنَ (يُولْيَانَ) وَ (لَذَرِيقِ) فَيَسَارِعُ بِعَقْدِ
صُلْحٍ مَعَ جَارِهِ (يُولْيَانَ) .. ثُمَّ يُوطِدُ عِلَاقَتَهُ بِهِ ، فَيُصْنِعُ حَانَ صَدِيقَيْنِ
حَمِيمَيْنِ ..





وَيَعْلَمُ (يُولِيَان) مِنْ طَارِقٍ أَنَّ الْعَرَبَ يَرْغَبُونَ فِي مَدِّ ثَقُودِهِمْ دَخَلَ أَوْرُبَّا ،
لِنَشْرِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ هُنَاكَ ، فَيَسْتَهْزِئُهَا (يُولِيَان) فُرْصَةً لِلنِّيلِ مِنْ عَدُوِّهِ
(لَذَرِيقٍ) حَاكِمِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ ..

وَعِنْدَمَا بَعْدُ (يُولِيَان) اسْتِجَابَةً مِنْ (طَارِقٍ) لِمَدِّ الْفَتْحِ إِلَى بِلَادِ
الْأَنْدَلُسِ ، يَغْرُضُ عَلَى (طَارِقٍ) مُسَاعَدَتَهُ فِي الْفَتْحِ ، بِأَنْ يَمُدَّهُ بِالسُّفُنِ
الْأَلَزَمَةِ لِعُبُورِ الْبَحْرِ ، وَنَقْلِ الْجُنُودِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى شَوَاطِيئِ الْأَنْدَلُسِ ..

يَفْرَحُ (طَارِقُ) بِهَذَا الْعَرْضِ مِنْ جَانِبِ (يُولِيَان) فَرَحًا عَظِيمًا ، وَيَذْهَبُ
إِلَى قَائِدِهِ (مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ) طَالِبًا مِنْهُ الْإِذْنَ بِفَتْحِ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ فَيَأْذَنُ
لَهُ (مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ) وَيَزِيدُهُ بِجَيْشٍ قَوَامُهُ سَبْعَةُ أَلْفٍ
مِنَ الْجُنُودِ الْمُسْلِمِينَ بِشَمْعَظْمِهِمْ مِنَ الْبَرَبْرِ الَّذِينَ
دَخَلُوا الْإِسْلَامَ بَعْدَ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ
لِبِلَادِ الْمَغْرِبِ .

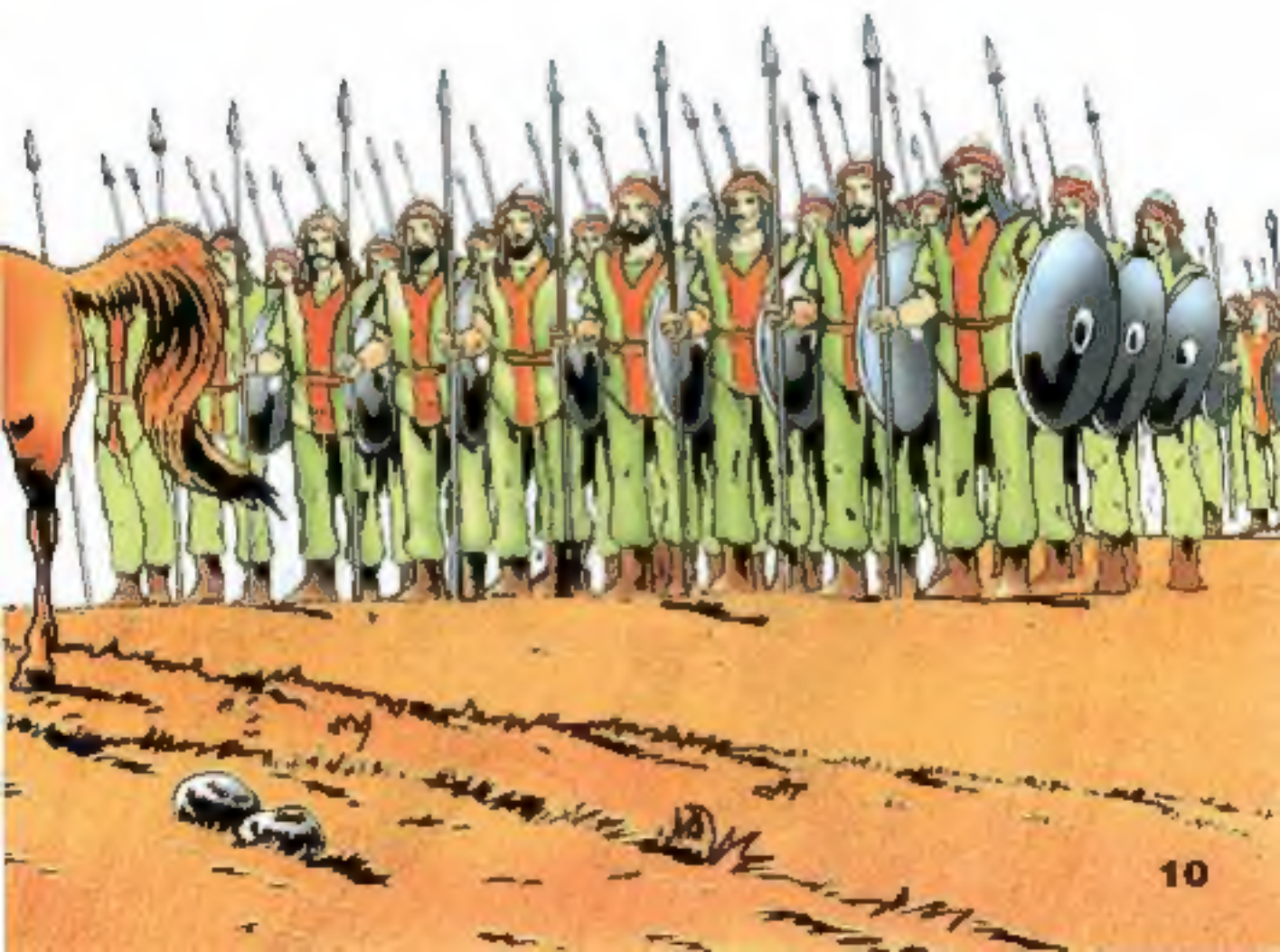


يودّع القائد (موسى بن نصير) جنود الإسلام المتجهين إلى
شواطئ الأندلس بقيادة (طارق بن زياد) ..
ويعبر (طارق) مع جنوده من بلاد المغرب إلى الجبل الذي
يعرف حتى اليوم باسم (جبل طارق) وبذلك يضع العرب
أقدامهم لأول مرة في بلاد الأندلس ..



وَيُصَدِّرُ (طَارِقُ) أَوَامِرَهُ إِلَى قَوَادِ جَيْشِهِ بِإِحْرَاقِ جَمِيعِ الشُّقْنِ وَالْمَرَائِبِ
الَّتِي غَبَرُوا فِيهَا ، حَتَّى لَا يَفْكُرَ أَحَدٌ مِنْ جُنُودِهِ فِي الْفِرَارِ أَوْ الشَّرَاجِعِ أَوْ
الْإِسْحَابِ مِنْ مَيْدَانِ الْقِتَالِ ، فَيَقْبَلُونَ عَلَى قِتَالِ عَدُوِّهِمْ ، وَلَيْسَ أَمَامَهُمْ سِوَى
الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْقِتَالِ لِتَحْقِيقِ النَّصْرِ ، أَوْ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ نَشْرِ دِينِ اللَّهِ
وَرَفْعِ رَايَةِ الْإِسْلَامِ فَوْقَ رُيُوعِ أَسْيَانِيَا .

وَبَعْدَ أَنْ عَبَا طَارِقُ جُنُودَهُ بِالْإِيمَانِ وَالْخَمَاسِ ، قَادَهُمْ إِلَى قَرْيَةٍ
(قَرْطَاجِنَةَ) فَتَصَدَّى لَهُمْ جُنُودُ الْأَنْدَلُسِ ، فَاشْتَبَكَ مَعَهُمْ جُنُودُ الْإِسْلَامِ ،
وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ..





وبرغم قلة عدد جنود طارق ، وصالة سليلهم ، فقد تمكنوا من هزيمة
جنود الأندلس ، واثروا منهم عائم كثيرة . كان أهمها الحيل التي كان
يحتاج إليها طارق لتدعيم جيشه بالفرسان

وتصل الأخبار بسرعة إلى (لدريق) ملك الأسبان (والدي كان في ذلك
الوقت في العاصمة (طليطلة) بعد العدة للقاء جيش طارق) ، ويعلم بهزيمة
جنوده في (قراطحة) فيملؤة العيظ والعصب ، ويصدر أوامره إلى جيشه
المكون من خمسين ألفا بسرعة التحرك لمقابلة جنود الإسلام خارج
العاصمة (طليطلة)

وفي نفس الوقت تصل إمدادات لجيش (طارق) من قائده
(موسى بن نصير) استعدادا لهذا اللقاء المرتقب
بين جنود (لدريق) وجنود (طارق)



وتتراعى على الشد جموع جيش (الذريق) وهي مزحف بأعداءها
المهولة، فيدب الخوف والفرغ في نفوس جنود (طارق) لما رأوه من
كثرة عدوهم، وتفوقه في الأسلحة والعدة.

فلما رأى (طارق) ذلك من جنوده سارع بث الطمأنينة والحماس
في قلوبهم، فوقف فيهم خطيباً وقال كلمته الحاسمة الشهيرة:
«أيها الناس: آين الممر العدو أمامكم، والبحر من خلفكم، وليس
لكم والله إلا الصدق والصبر».

وتعمل خطبة طارق عملها في مث
والاستئصال في نفوس جنود
فيستعدون للمقاء عدوهم بقلوب
والرغبة في تحقيق النصر

روح الحماس

الإسلام،

يمتوونها الإيمان

وتتراءى لـ (الدريق) على الشد طلائع جيش الإسلام ، فيرسل رجاله
للاستطلاع والتجسس ، لمعرفة حجم جيش الإسلام وتقدير معدّاته
واستعداداته للقتال ويعود رجال (الدريق) وقد هالهم وراعههم مارأوه من
بسالة حشد الإسلام ، واستعدادهم للقتال
و يسأل (الدريق) رجاله الذين قاموا بعملية الاستطلاع عما رأوه ، فيقول
له أحدُهم :
' لقد جاء من حُود الإسلام من لا يريدُ إلا الموت ، أو إصابة ما تحت
قدميك

ويخبر (الدريق) مما سمعه من حواسيسه ورجال استطلاعه ،
ويظنّ أنّهم يبالغون في تقدير مدى الروح المعنوية العالية لجيش
المسلمين ، واستعدادهم للقتال
وعند مكان في (أسانيا) يُسمى وادي (الكّة) على
شاطئ نَحِيرَه (جنداً) بـقابل الحِشَان ،
واستعدّ كلُّ منهما للقاء الآخر





قَسَمَ (طَارِقُ) جُثُودَهُ عَلَى هَيْئَةِ صُفُوفٍ مُتَرَاصَّةٍ ، وَكَانَ حُثُودُ الْإِسْلَامِ
يَتَمَيِّزُونَ بِالْمَلَأْسِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْعِمَامَةِ الْبَيْضَاءِ .

وَقَسَمَ (الدَّرِيقُ) حُثُودَهُ عَلَى هَيْئَةِ (كَرَادِيْسٍ) تَتَكَوَّنُ مِنْ مِثْمَةٍ وَمِيسْرَةٍ وَقَلْبٍ .
وَكَانَ (الدَّرِيقُ) هُوَ الَّذِي يَقُودُ قَلْبَ الْجَيْشِ نَفْسَهُ . نِيَمَا جَعَلَ عَلَى كُلِّ مَنْ
الْمِثْمَةِ وَالْمِيسْرَةَ قَائِدًا مِنْ أَيْرُزْ قُوَادِهِ .

وَقَدْ طَهَّرَ (الدَّرِيقُ) بَيْتَ جُثُودِهِ فَوْقَ سَرِيرِ مُلْكِهِ ، وَالسَّرِيرُ مُمَدُّ بَيْنَ بَعْلَتَيْنِ
تَحْمِلَانِهِ ، وَعَلَيْهِ تَاجُ مُلْكِهِ ، وَقَدْ ارْتَدَى قُبَّارُهُ ، نِيَمَا يَمْتَدُّ فَوْقَ رَأْسِهِ زَوَاقُ
مِنَ الْخَرِيرِ يُظَلِّلُهُ مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ . وَحَوْلَهُ عَائَةٌ مِنَ السُّودِ وَالْأَغْلَامِ
وَبَيْنَ يَدَيْهِ خُرَاسٌ مَدْحُخُونٌ بِالسَّلَاحِ ، وَفَرَسَانٌ مَلَأَسُهُمُ الْمُرْزُكَشَةُ
وَكَانَتْ لِبَابُ (الدَّرِيقِ) الْمُرْزُكَشَةُ مُرْصَعَةٌ بِالْمَدَارِ وَالْيَاقُوتِ وَالرُّمُوحِ
كَمَا أَنَّ حُقَّةً كَانَتْ مَصْنُوعًا مِنْ أَلْيَافِ الذَّهَبِ وَكَانَ (الدَّرِيقُ)
ذَاهِبٌ فِي رَحْلَةٍ أَوْ قَرْهَةٍ .



وَعَلَى الْعَكْسِ مِنْ (الدَّرِيْقِ)
كَأَنَّ (طَارِقَ) يَظْلُقُ بِفَرْسِهِ نِيرَ
جُنُودِهِ لِيَحْمَتَهُمْ عَلَى قِتَالِ
عَدُوِّهِمْ .
وَأَحْيَرًا



أَتَحِمُّوا الْحَيْشَادَ ، وَدَارَ بَيْنَهُمَا الْقِتَالُ عَيْفَا ، حَتَّى طُرِدَ كُلُّ مَنِ الْمَرْيَقِيِّينَ
أَنَّهُ الْمَاءُ

وَكَانَ حُنُودُ (طَارِقُ) هُمُ الَّذِينَ بَدَءُوا الْهَجُومَ ، وَهُمْ الَّذِينَ اسْتَمَرُّوا فِي
مُحَامِلَتِهِمْ الْمُسْتَمِرَّةَ عَلَى حُنُودِ (الدَّرِيْقِ) ..

نَقَصُوا أَوَّلًا عَلَى مَيْمَنَةِ جَيْشِ (الدَّرِيْقِ) فَهَرَمُوا . ثُمَّ رَكَزُوا صِرْبَتَهُمْ
وَمُحَامِلَتَهُمْ عَلَى الْمَيْسَرَةِ فَمَرَقُوا

وَبَثَّ الْقَلْبُ قَلِيلًا وَبِهِ (الدَّرِيْقِ) مَخْمُولًا فَوْقَ سَرِيرٍ مُذَكِّهِ بِثُتِّ الْحَمَاسِ
فِي جُنُودِهِ ، لَكِنَّهُ مَالَتْ أَنْ هَرَمَ وَتَقَهَّرَ



وأخيراً مرل (الدريق) عن سرير ملكه ، واعتطى جواده الأشهب
للدفاع عن نفسه ، بعد أن قُتل خُراسه
ولمّا أدرك (الدريق) بعد هزيمة جيشه وتفرّق حُوده ، أنّه لا نجاة
لّه إلا بالفرار من ميدان المعركة قاد جواده بعيداً وفي
نفس اللحظة التي حاول فيها (الدريق) الفرار من المعركة ، لمحّه
أحد الفرسان المسلمين ، فأسرع حذمه



وتدور مباررة عبيدة بين (الدريق) والفراس المسلم
ويكاد الفراس المسلم أن يتعلب على (الدريق) ويقتله ، لكن (الدريق)
يعافله ، ويصر بجواده تجاه نهر صغير . . ويدفع الفراس المسلم حلف (الدريق)
محاولاً أسره ، لكن جواد (الدريق) يدفع إلى منطقة موحلة بالطير ، وتغوص
قوائم الجواد في الوحل ، فلا يستطيع التقدم خطوة واحدة
ويلاحظ (الدريق) أن الفراس المسلم جاد في أسره و الطفره ، فيدفع
إلى الماء ، ويغوص ، فيخرقه نياز النهر ويغرق ، ينما يغثر الفراس
المسلم على جواد (الدريق) وفردة من حدائه الدهني





وَيَنْدَفِعُ الْفَارِسُ الْمُسْلِمُ بَيْنَ صُفُوفِ الْمُسْلِمِينَ شَيْكًا حَصَانًا (لِلدَّرِيْقِ)
وَفَرْدَةً حِذَائِهِ الذَّهَبِيَّةَ، وَصَانِحًا :

لَقَدْ قُتِلَ الطَّاعِيَةُ (لِلدَّرِيْقِ) ..

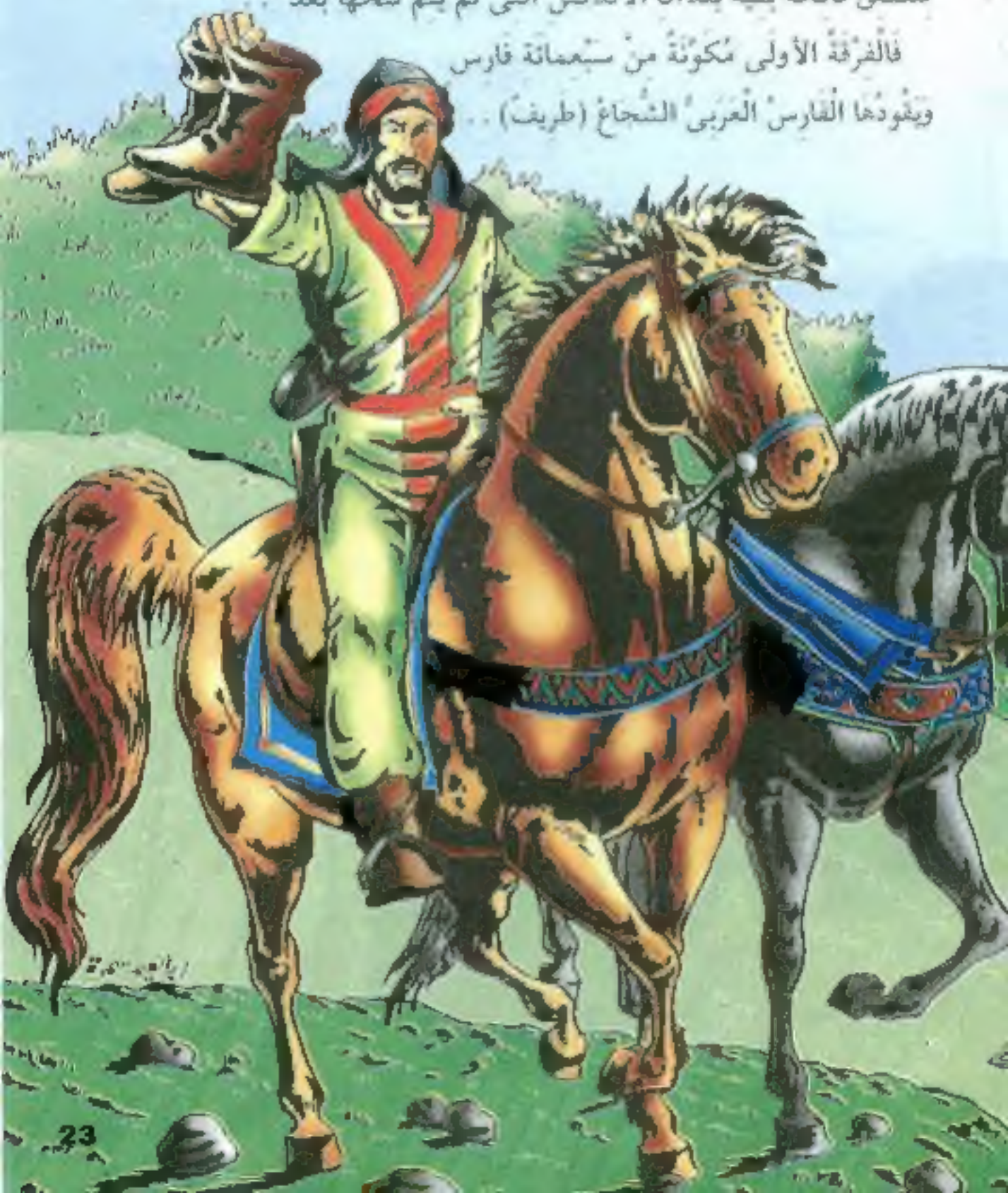
وَيُطْلَقُ الْجُنُودُ الْمُسْلِمُونَ صِيْحَاتِ التَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ ، وَيَنْقَضُونَ بِحِمَاسٍ
عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ جُنُودِ (لِلدَّرِيْقِ) فَيَفْرَوْنَ هَارِبِينَ مِنْ مِيدَانِ الْمَعْرَكَةِ ..

وَيَتَعَقَّبُهُمُ الْجُنُودُ الْمُسْلِمُونَ بِالْحِرَابِ وَالسَّهَامِ فِي ظُهُورِهِمْ ، فَيَقْتُلُونَ كَثِيرِينَ
مِنْهُمْ وَيَأْسُرُونَ آخَرِينَ ..

وَيَتْرُكُ جُنُودُ (لِلدَّرِيْقِ) الْهَارِبُونَ وَرَاءَهُمْ مَعْكَرًا مَمْلُوءًا بِالْأَسْلِحَةِ وَغَدَدِ
الْحَرْبِ وَالزَّادِ وَالْخَيُْولِ وَالْمَاشِيَةِ وَالتَّحَفِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَنْبِيَةِ الذَّهَبِيَّةِ ، فَيَسْتَوْلِي
جُنُودُ الْإِسْلَامِ عَلَى كُلِّ هَذِهِ الْغَنَائِمِ ، وَيَقْبِذُونَ الْأَسْرَى بِالسَّلَاسِلِ ..



بعد هذه المعركة الحاسمة والفاصلة ، والتي كُتِلَت بالنصر لجنود الإسلام ،
يقوم (طارق) بإتمام فتح بلاد الأندلس ، فيعمل على تقسيم جيشه إلى أربع فرق ،
لتتطرق فاتحة بقة بلدان الأندلس التي لم يتم فتحها بعد .
فالفُرقة الأولى مكوّنة من سبع مائة فارس
ويتقدّمها الفارس العربي الشجاع (طريف) .



وقد وجهها طارق لفتح مدينة (فَرطَة) التي صارت بعد الفتح عاصمة الحكم العربي الإسلامي في الأندلس .

واتجهت الفرقة الثانية لفتح مدينة (غرناطة) .

والفرقة الثالثة اتجهت لفتح مدينة (مالقة)

أما بقية الجيش فقد قاده (طارق) بنفسه ، واتجه إلى العاصمة (طليطلة) ففتحها .

وبهذا الفتح المبين خضعت بلاد الأندلس كلها لحكم العرب المسلمين ثمانية قرون ، كانت سببا في ازدهار أسبانيا وازدهار أورثا بالحضارة العربية الإسلامية .

وظلت العاصمة (طليطلة) تشع نور الإسلام على كل ما حولها من المدن والبقاع طوال ثمانية قرون هي مدة حكم المسلمين لبلاد الأندلس .

(تمت بحمد الله)

